المصـــــدر : الوطن السعودية
التـــاريخ : 11-02-2007
الصفحـات : 26
العـــدد : 2326
المسلسل : 222

بحضور الرئيس بوتين وعدد من كبار مسؤولي السعودية وروسيا

خادم الحرمين يسلّم جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام لشايميف

موسكو: أشرف الصباغ

يسلّم خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز جائزة الملك فيصل العالمية مساء اليوم للفائز بها في مجال خدمة الإسلام لهذا العام رئيس جمهورية تترستان منتيمير شريبوفيتش شايميف، بحضور الرئيس الروسي فلاديمير بوتين، وحضور ولي العهد نائب رئيس مجلس الوزراء وزير الدفاع والطيران المفتش العام رئيس لجنة الاختيار لجائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز، وعدد من كبار المسؤولين في السعودية وروسيا.

كما سيحضر اللقاء التكريمي من مؤسسة الملك فيصل الخيرية رئيس هيئة جائزة الملك فيصل العالمية سمو الأمير خالد الفيصل، والأمين العام للجائزة الدكتور عبدالله العثيمين.

وكانت لجنة الاختيار لجائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام قد أعلنت بعد اجتماعها برئاسة سمو ولي العهد يوم السبت 13 يناير 2007 عن فوز الرئيس شايميف (الروسي الجنسية)، تقديرا لخدماته الجليلة للإسلام والمسلمين ومن ذلك:

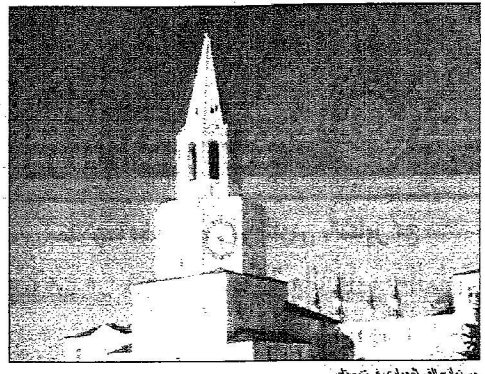

من ضواحي القرن العشرين في موسكو

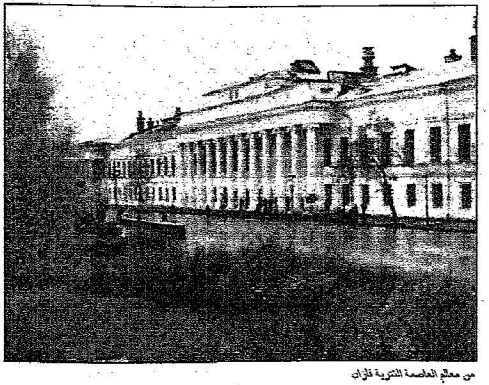

من معالم العاصمة التترية قازان

الرئيس التتري أحدث نهضة كبرى في بلاده وحوّلها إلى أهم محرك للاقتصاد الروسي في العصر الحديث

المصـــــدر : الوطن السعودية
التـــاريخ : 11-02-2007 العـــدد : 2326
الصفحـات : 26 المسلسل : 222

1- جهوده العظيمة في إحياء الثقافة الإسلامية في جمهورية تترستان، وفي تعريف مسلميها بمبادئ دينهم القيمة.

2- جهوده في إعادة بناء المساجد التي دمرت في أزمان سابقة حتى تجاوز عددها ألف مسجد، 40 منها في العاصمة قازان بينها جامع قول شريف، الذي هو تحفة فنية، ولم يكن فيها زمن الحكم الشيوعي سوى أربعة مساجد.

3- تشييد مطابع للمصحف والكتب الإسلامية وتشييد كثير من المدارس والجمعيات الإسلامية في عهده، وإنشاء الجامعة الإسلامية الروسية، التي تدرس فيها المواد بالروسية والتترية والعربية.

4- اتباعه سياسة حكيمة جعلت من تترستان مثالا للتعايش الاجتماعي السلمي، ورمزا للتسامح، كما جعلتها تحقق نهضة اقتصادية وعمرانية واضحة المعالم.

تترستان

وتقع أرض "التتر" أو تترستان على السفوح الغربية لجبال الأورال الفاصلة بين آسيا وأوروبا، بمساحة تبلغ نحو 70 ألف كلم مربع، ويبلغ عدد سكانها حوالي 6 ملايين نسمة. وهي بوضعيتها الجغرافية تمثل قلب روسيا، لأنها محاطة بسبع وحدات إدارية، خمس منها تقطنها أغلبية إسلامية.

وهي ليست، مثلا، كالشيشان الواقعة على الحدود الجورجية، أو داغستان الواقعة على حدود أذربيجان، بل هي داخل حدود روسيا.

تحتل تتارستان موقعًا بالغ الأهمية على نهر "الفولجا" شريان الحياة الرئيسي لوسط روسيا.

ولا تُختزل أهمية "الفولجا" في الجوانب البيئية والاقتصادية فحسب، بل هو جزء أصيل من مركب الثقافة الروسية التي استلهمت من هذا النهر إبداعاتها الشعرية والقصصية والموسيقية وغيرها من مناحي الفن والأدب. وتترستان واحدة من أهم مناطق إنتاج وتصنيع النفط والغاز في روسيا. فمنها يبدأ خط أنابيب البترول إلى شرق أوروبا المعروف باسم خط "الصداقة".

وبالأراضي التترية موارد معدنية وزراعية متعددة، وهو ما ينعكس على درجة معيشة السكان التي تبدو أفضل من نظرائهم في كثير من الأقاليم الروسية.

وبثروتها المائية والغابية وتربتها الخصبة تُعَدّ مركزًا صناعيًا مهمًا لروسيا. وكان الإقليم الذي تقع فيه تترستان (الأورال) الحصن الذي انتقلت إليه الصناعات السوفيتية إبان الهجوم النازي على الاتحاد السوفيتي ومحاصرته لينينجراد واقترابه من العاصمة موسكو، ما يجعل تتارستان واحدة من أحجار الزوايا الرئيسية في البيت الروسي.

منذ القرن السابع الميلادي عرف التتر كأحفاد لبلغار الفولجا الذين اعتنقوا الإسلام عبر وسائط التأثير الدينية التي جسدتها التجارة والرحلات من آسيا الوسطى إلى الإقليم والعكس.

وتم التمهيد لاعتناق البلغار للإسلام بفضل السفارة التي أرسلها الخليفة المأمون، التي خرجت من بغداد عام 922م. وحلت الحروف العربية محل التركية المستخدمة لدى البلغار. والطريف أن الأبجدية العربية ظلت هي الأبجدية المستخدمة منذ القرن العاشر حتى بعد قيام الاتحاد السوفيتي، ولم تُلَحْ إلا في عام 1928 حينما استبدلت بها الأبجدية اللاتينية، ثم استخدمت اللغة التترية الأبجدية السلافية (الروسية) في عام 1938 إلى الآن.

وفي القرنين التاسع والعاشر كان لبلغار الفولجا أول دولة إقطاعية في شمال شرق أوروبا.

وخضع التتر للغزو المغولي في 1237. وحينما تفككت الإمبراطورية المغولية في منتصف القرن 15 إلى أربع قبائل كانت القبيلة القازانية (نسبة إلى مدينة قازان عاصمة تترستان) أكثرها أهمية. ومع حلول القرن السادس عشر وبالتحديد في 1552 استطاع القيصر الروسي إيفان الرهيب (إيفان الرابع) حصار قازان وإسقاط القبيلة القازانية. وفي 1920 ضمت تترستان كجمهورية ضمن حدود جمهورية روسيا السوفيتية.

وفي نهاية فترة حكم الرئيس السوفيتي جورباتشوف أعلنت تترستان عن استقلالها في 30 أغسطس 1990. وبعد أن تفكك الاتحاد السوفيتي واستقلت روسيا تم التوقيع على مذكرة تفاهم بين قازان وموسكو في مارس 1992، تمت فيها صيغة جديدة من الاستقلال، ولكن ضمن الفدرالية الروسية. وفي فبراير 1994 ارتقت مذكرة التفاهم إلى مستوى "المعاهدة" التي وقع عليها الجانبان، ونصت على "التفويض المتبادل للسلطة بين موسكو وقازان". وعدت هذه العلاقة مثالاً يحتذى بين موسكو وباقي الأقاليم الإدارية فيما صار يعرف باسم "المسار التترستاني".

ويشكل التتر في جمهوريتهم 50٪ فقط، بينما تبلغ نسبة الروس 40٪، والنسبة الباقية لقوميات أخرى كالتشوفاش، والأدمورت، والماريين، وغيرهم. ويعيش غالبية التتر في المناطق الريفية، بينما يتمركز الروس في المدن. وتؤثر هذه التركيبة السكانية بالطبع على التوجهات المستقبلية للجمهورية، خاصة ما يخص منها النزعات الاستقلالية التي يثيرها القوميون التتر. وفي ذلك يلعب الروس دورًا مهمًا لتفعيل سلطة موسكو المنظورة وغير المنظورة على الإقليم.

بعد الإعلان رسمياً عن تفكك الاتحاد السوفيتي حاولت بعض الجمهوريات الإعلان عن استقلالها عن روسيا، استنادًا إلى المبدأ ذاته الذي طالبت به جمهورية روسيا السوفيتية في الحصول على صلاحيات استقلالية بعيدًا عن مركزية الاتحاد السوفيتي. ومضت على نفس المسار تترستان، فما طالبت به روسيا ضمن الاتحاد السوفيتي طالبت به تترستان داخل روسيا الاتحادية. وهنا يستوقفنا منهج مختلف في الاستقلال. فقد تأرجح مشروع استقلال تترستان عن روسيا بين جناحي القوميين والفدراليين. وكان لكل طرف أهدافه ومبرراته:

الجناح القومي

كانت أهداف القوميين واضحة: إعلان تترستان دولة ذات سيادة. ولدى هؤلاء مبررات عدة، على رأسها:

أولا- تاريخ تترستان الذي عرف العلاقة الندية بروسيا، فمنذ أوائل القرن العاشر الميلادي وتترستان (بلغار الفولجا حينئذ) عقدت اتفاقية سلام مع روسيا الكييفية (كييف عاصمة أوكرانيا حاليًا ومركز الإمبراطورية الروسية قديمًا).

وإذا كان البعض لا يعجبه

شايميف أعاد بناء المساجد التي دمرت في أزمان سابقة حتى أصبح عددها الآن أكثر من ألف مسجد

المصـــــدر : الوطن السعودية
التـــاريخ : 11-02-2007 العـــدد : 2326
الصفحـات : 26 المسلسل : 222

الاستناد إلى تاريخ الإمبراطوريات، ولا يودّ أن يرجع إلى الإمبراطورية القازانية التي كانت في موقع السيادة في شرق روسيا، فتكفي الإشارة إلى أنه حينما أغارت روسيا على هذه الإمبراطورية في منتصف القرن السادس عشر وفككتها، لم تكن علاقة تترستان بالقيصرية الروسية علاقة خضوع وخنوع كما هو الحال في كثير من المناطق والأقاليم الروسية؛ بل كانت العلاقة ندية ضمن معاهدات واتفاقات حفظت لتترستان قدرًا مقنعًا من الاستقلالية.

ولم تخضع تترستان كلية لسلطة موسكو إلا مع الفترة الشيوعية التي بدأ تاريخها معه في عام 1920. وحينما بدأت سياسة البيريسترويكا في عام 1985 التفت القوميون إلى مطالبة روسيا، بزعامة رئيسها آنذاك بوريس يلتسين، بالاستقلال عن القبضة المركزية السوفييتية. واعتقادًا في أن المبدأ لا يتجزأ طالب هؤلاء باستقلال تترستان عن روسيا. وكان بعض هؤلاء يعتقدون في إمكان تحقيق "الطلاق الهادئ" بين تترستان وروسيا. وقد أبانت تجربة الشيشان أن ذلك النوع من الطلاق ليس في مخيلة موسكو.

ثانيا- انبعاث حركات الإحياء الديني، التي تنظر إلى روسيا نظرة متحفظة في ظل ما يسجله التاريخ عن الاضطهاد الديني الذي تعرض له المسلمون التتر، سواء في الفترة القيصرية أو السوفييتية. فقد شهد الحكم القيصري لتترستان ليس فقط اضطهاد المسلمين وغلق المساجد، بل وجهودا حثيثة لتنصير المسلمين. ويعتبر منتصف القرن الثامن عشر ذروة الاضطهاد للمسلمين. وقد ظلت أشكال القمع وتجريم العبادة على دين الإسلام قائمة لزمن طويل حتى شرعت يكاترينا الثانية في 1788 بفك القيد عن مسلمي التتر إثر سلسلة من الثورات الدامية للمطالبة بالحقوق. بل ونجح الثوار- بقيادة بوجاتشيف- في تحرير كازان في 1774.

وفي الفترة السوفيتية حرمت

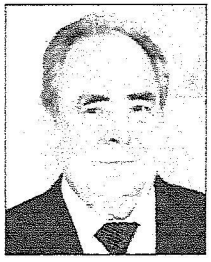

منتيمير شايميف

الأديان وعلى رأسها الإسلام، وأغلقت المساجد وحول كثير منها إلى مخازن ومتاجر وحظائر للحيوانات. ولم يسمح بعودة الإسلام كدين إلا في 1985، واحتفلت قازان في 1989 بمرور 1100 عام على اعتناق الإسلام.

ثالثا- الموقف الاقتصادي القوي لتترستان كمنتج للنفط وكمركز للصناعات البتروكيماوية وللصناعات الحربية، وشعور القوميين بأن تترستان لن تكون "عالة" على أحد حين استقلالها.

الجناح الفدرالي

وفي المقابل كان هناك من يرى ضرورة تجنب الصدام المسلح، وأنه من الأصلح لتترستان أن تظل ضمن الفدرالية الروسية، وكانت حجج هؤلاء:

أولا- أن تفعيل القوانين الفدرالية يمكن أن يحقق لتترستان مزية الجمع بين الحسنيين: قدر واسع من الاستقلالية، مع الاستفادة من الارتباط بدولة ذات إمكانات متعددة استراتيجيًا وسياسيًا واقتصاديًا وعسكريًا كروسيا.

وفي ذلك يقول رئيس تترستان منتيمير شايميف الذي انتخب منذ يونيو 1991 "إن تفعيل القوانين الفدرالية لا يخدم فقط تترستان، بل يخدم أيضا روسيا الاتحادية التي يعوزها تطبيق الفدرالية حتى يصبح اسمها اسما على مسمى".

ثانيا- إن أكثر من 20 قومية تسكن تترستان، ووجود نسبة مرتفعة من السكان الروس بالجمهورية (نحو 40٪ من إجمالي السكان) يجعل لخيار التعايش أفضلية على خيار الصدام.

ثالثا- إن العالم المعاصر يعترف بالقوة الاقتصادية وسعي الحكومات إلى تحقيق رفاهية للشعوب، ومن ثم فإن أفضل صورة هي الاستقلال "الاقتصادي" عن روسيا.

وبالفعل كان أهم بند في دستور تترستان الجديد مؤكدا على الاستقلالية الاقتصادية. وهكذا خرجت المادة السادسة لدستور تترستان على "حق جمهورية تترستان في عقد الاتفاقات الاقتصادية مع الوحدات الإدارية للدول الأجنبية والمنظمات الدولية، بما يتضمنه ذلك من تبادل التمثيل التجاري والمشاركة في المنظمات الاقتصادية الدولية".

منتيمير شايميف

ولد عام 1937 في أسرة تعمل في الزراعة، ودرس الزراعة فأصبح مهندسا زراعيا، ثم تدرج في المناصب الحكومية والحزبية حتى أصبح رئيسا لجمهورية تترستان منذ عام 1991. وقام شايميف بجهود عظيمة لخدمة الإسلام والمسلمين، وإحياء الثقافة الإسلامية، وخاصة في العاصمة قازان.

وسعى لتعريف مسلمي بلاده بشؤون دينهم وثقافتهم الأصيلة، وأعاد بناء المساجد التي دمرت في أزمان سابقة حتى أصبح عددها الآن في الجمهورية أكثر من ألف مسجد، أربعون منها في العاصمة وحدها، التي لم يكن منها في زمن الحكم الشيوعي إلا أربعة مساجد، وافتتح في عهده جامع قول شريف الذي يمثل تحفه فنية، وأنشئت مطابع للمصحف والكتب الإسلامية، وشيدت كثير من المدارس والجمعيات الإسلامية، كما أنشئت "الجامعة الإسلامية الروسية" التي تدرس فيها المواد بالروسية والتترية والعربية.

المصـــــدر : الوطن السعودية
التـــاريخ : 11-02-2007 العـــدد : 2326
الصفحـات : 26 المسلسل : 222

وفي عهد الرئيس شايميف برزت جمهورية تترستان مثالا للتعايش الاجتماعي السلمي حتى أصبحت رمزا للتسامح بين الأديان، وقد أدى أسلوبه الهادئ الرزين في إدارة الأمور إلى تحقيق نهضة بلاده وتقدمها اقتصاديا وعمرانيا. وتقرا لجهوده في مجالات مختلفة نافعة مُنح أوسمة وجوائز عديدة بينها وسام رجل عام 97-1998 من جامعة كمبردج البريطانية، وميدالية ابن سينا الفضية من اليونسكو.

وفي 19يناير 2007 قام الرئيس الروسي فلاديمير بوتين بزيارة إلى قازان حيث ركز في لقائه بالرئيس شايميف على ضرورة تنشيط تطوير مشروع المنطقة الاقتصادية الخاصة في بلابوغا "الهامة ليس للجمهورية فحسب بل ولروسيا كلها". وأعرب شايميف عن ثقته في أن "تترستان ستصبح حتى عام 2010 جمهورية إنتاج سيارات الركاب الخفيفة". وأكد: "أننا سننتج حتى 200 ألف سيارة من هذا النوع في السنة". وقال شايميف إنه شغل الآن خط إنتاج سيارة اللاندروفر الكورية وكذلك سيارات صالون إيطالية. كما قام شايميف باطلاع الرئيس بوتين على نتائج التنمية في الجمهورية عموما في العام الماضي. وقال شايميف إن إجمالي الناتج الإقليمي زاد بنسبة 7٪. وأضاف رئيس جمهورية تترستان: "إننا حددنا الزيادة في عام 2007 بنسبة 7,5٪".

وفي الحقيقة جاءت زيارة بوتين إلى تترستان لسبب في غاية الأهمية. إذ هنأ شايميف بمناسبة عيد ميلاده السبعين، وقلده وسام "الاستحقاق" من الدرجة الأولى تقديرا للخدمات الكبيرة التي قدمها للوطن. ويعتبر هذا الوسام من أرفع الأوسمة في روسيا الاتحادية. وذكر بوتين أن شايميف معروف بحكمته ولباقته. وأكد بأنه حول جمهورية تترستان إلى إحدى المناطق الروسية الرائدة. ولم يتجاهل بوتين أن "السياسيين من أمثال شايميف لعبوا دورا إيجابيا وبناء في تحول روسيا في المرحلة الصعبة التي مرت بها"، كما قال الرئيس الروسي بالضبط. وهذه الخطوة من جانب رئيس روسيا جاءت بعد أيام قليلة من حصول شايميف إلى جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام. الأمر الذي يعكس مدى أهمية هذه الشخصية ونفوذها الدولي.

ويعتبر سينتيمير شايميف أكثر السياسيين في المناطق الروسية نفوذا في حين تعتبر تترستان واحدة من أقوى مناطق روسيا من الناحية الاقتصادية مما له دلالة كبيرة من الجانب السياسي أيضا. كما أن كرملين قازان لم يتملق كرملين موسكو أبدا حيث اعتبرت تترستان كدولة داخل روسيا وليس مقاطعة أو إقليما. وتنظر موسكو بشكل جدي إلى بيان سيادة دولة تترستان الذي تم توقيعه في عام 1990 في العهد السوفيتي، وكذلك إلى الاتفاقية الموقعة في شهر يناير 1994 حول تقاسم السلطات مع المركز الفدرالي.

جمهورية تترستان في عهد شايميف تعد مثالا للتعايش الاجتماعي السلمي ورمزاً للتسامح بين الأديان

وفي عام 2000 ذكر شايميف، بعد انتخاب بوتين رئيسا لروسيا الاتحادية، أن بوتين ورث تركة ثقيلة جدا: سلطة ضعيفة، وغياب المعلومات عما يجري في المناطق، والمجتمع بشكل عام". بهذه الكلمات وصف شايميف الوضع الذي وجد بوتين نفسه فيه. وكان شايميف نفسه آنذاك في موقف أفضل، وخاصة من ناحية مباشرته ببناء هيكل السلطة في الجمهورية منذ أوائل التسعينات، وبالنسبة لحل المشاكل في العلاقات مع مستويات السلطة الأدنى التي تمثل للرئيس فلاديمير بوتين المحافظين ورؤساء بلديات المدن الكبيرة ورؤساء الجمهوريات الروسية، في حين لا تمثل بالنسبة لشايميف إلا رؤساء بلديات مدن وقرى جمهورية تترستان.

وفي تسعينات القرن العشرين شهدت مختلف مناطق روسيا نزاعات بين سلطات المناطق الفيدرالية وإدارات الحكم المحلي، وجرت في فلاديفوستوك على سبيل المثال معارك شوارع شارك فيها عمال البلدية وخدمات السكن. كما تكاثرت في تلك الفترة الشكاوى المقدمة إلى المحكمة الدستورية التي لم تعترف دائما بشرعية أعمال ممثلي سلطة الدولة في حالات كثيرة. أما تترستان فلم تشهد مثل هذه الحوادث لأن نظام الدولة فيها موضوع بالشكل الذي لا يسمح بوقوع مثل هذه المشاكل. وقد قام الحقوقيون التتر في أواسط التسعينات بدراسة وتحليل دستور وقوانين روسيا الاتحادية، ووجدوا الصيغة التي تمكنوا من خلالها من إدخال إدارات المدن والبلدات في هرم السلطة في الجمهورية وجعلها محاسبة أمام الشعب وسلطات الجمهورية العليا في آن واحد.

لقد أثبتت تجربة تترستان فعاليتها وملاءمتها للواقع مما دفع إلى البدء بتطبيقها في العلاقات بين المركز الفيدرالي ومناطق روسيا. وإذا كانت موسكو قد أدركت فائدة تنظيم السلطة هذا بعد مأساة بيسلان فقط فإن جمهورية تترستان قد سبقتها إلى ذلك منذ مدة طويلة.

وفي الوقت الذي شهدت فيه مناطق روسيا الأخرى التي تتميز أيضا بهذا التنوع القومي والطائفي نزاعات ومشاكل بين السكان، وصلت، كما شهدت جمهورية الشيشان، إلى حد معاقبة الناس في الشوارع وتطبيق قوانين الشريعة وما وصف بـ تطهير الجمهورية من الكفار" فإن جمهورية تترستان بنت علاقتها مع المركز الفيدرالي على أساس القانون الروسي، وطورت اقتصادها بشكل شفاف دون انتظار أن يطلب منها الرئيس الروسي ذلك.

كما تمتعت جمهورية تترستان بجاذبية استثمارية كبيرة حيث وصلت رؤوس الأموال التي تم توظيفها في اقتصاد الجمهورية في العام الماضي إلى 3 مليارات دولار. ولو كانت جميع مناطق روسيا الاتحادية شبيهة بتترستان لما كانت هناك حاجة لتعزيز ما يسمى بهرم السلطة في البلاد. ويرى السياسيون وسكان جمهورية تترستان الفائدة من الإصلاحات التي أعلن عنها الرئيس الروسي بوتين في التخلص من تكاليف ونفقات الانتخابات وما يرافقها من مرحلة غير مستقرة. وحتى لو أخذنا هذا الرأي بعين الاعتبار فسنجد أن تترستان ليست بحاجة ماسة إلى النظام الجديد المتعلق بمنح صلاحيات رئيس الجمهورية، كما لم يكن شايميف شخصيا بحاجة إلى ذلك أيضا لأنه لم يكن ينوي شغل منصب الرئيس لولاية رابعة.

المصـــــدر : الوطن السعودية
التـــاريخ : 11-02-2007 العـــدد : 2326
الصفحـات : 26 المسلسل : 222

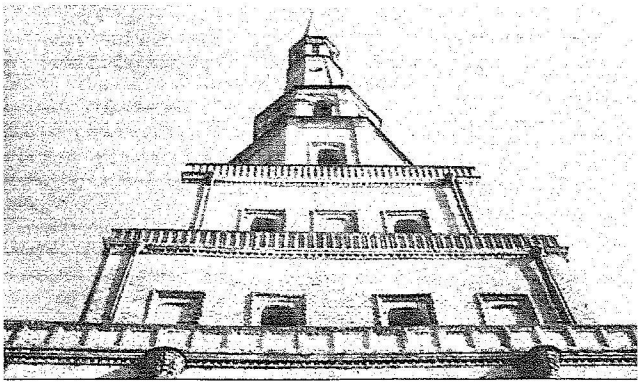

برج سوسمبيك

مسجد قول شريف من أبرز المعالم الإسلامية في تترستان

(أرشيف الوطن)